

الباب الأول

في التعريف بالشيخ رضى الله عنه

أعلم أن التعريف بالشيخ رضى الله عنه وذكر سيرته شهره مذكور في كتب الطريق ، كجواهر المعاني ، ونبغية المستفيد وغيرهما . وقد أفردها بعض الأصحاب بتأليف ، وسأذكر نبذة مختصرة في كتابي هذا كيلا يكون خالياً من البركة ولأن معرفة شيخ الطريق من الأمور المؤكدة عند السادة الصوفية ، لأنها أكبر داع إلى التعلق لما ينشأ عنها من المحبة التي ينشأ عنها وصول المدد من الشيخ إلى المرید فأقول : هو شيخ الطريقة ، وأستاذ الحقيقة ، ذو المناقب الظاهرة ، والكرامات الباهرة القلب الأكبر ، والعلم الأشهر ، الشريف العفيف ، ذو القدر المنيف أبو العباس : سيدى أحمد بن سيدى محمد . الملقب « بأبي عمرو » ابن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن العبد بن سالم ابن أحمد ، الملقب « بالعلوانى » سيد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبيد الجبار ابن إدريس بن إدريس بن إسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد الملقب « بالنفس الزكية » ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من سيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، بنت سيد الوجود وقبلة الشعوب : سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ (وأمه) رضى الله عنها الدرة المصونة ، والجوهرة المسكونة : السيدة عائشة بنت السيد الجليل أبي عبد الله سيدى محمد بن السنوسى التجانى المضاوى والتجاني بتشديد التاء مكسورة . وتخفيف الجيم أو تشديدها ، ولا ياء بين التاء والجيم كما هو مضبوط في البغية ، نسبة إلى قبيلة معروفه ببلادهم يقال لها تجمانة ، وهم أخوان سيدنا الشيخ رضى الله عنه غلبت عليه النسبية لإيهم . والمضاوى . نسبة إلى قرية عين ماضى ، وهى قرية شهيرة بالصحراء الشرقية من بلاد المغرب ، ومناقب آباؤه رضى الله عنه مذكورة في (جواهر المعاني ، ونبغية المستفيد) وغيرهما من كتب الطريق ، فيطلبها من أرادها .

ولد رضى الله عنه بقرية عين ماضى ، سنة ألف ومائة وخمسين من الهجرة الشريفة النبوية وقد أرخ بعض أهل الفتح من أصحابه رضى الله عنهم ميلاده رضى الله عنه بقوله «مولد الختم ، باسقاط أهل لفظة الختم ، لأنها لا تقرأ في درج الكلام ولعمري إنما لتاريخ في غاية اللطف لموافقته الواقع ، نفعنا الله بهم .

وصفته الكريمة ، وصورة شكله الفخيمة ، أنه رضى الله عنه : كان أبيض اللون ، مشرباً بحمرة ، معتدل القامة منور الشبهة ، ذات صوت جهورى . سمت بهى وقدر على . حلو المنطق فصيح اللسان ذا مهابة وعظمة ، ووقار وحياء ، وجمالة وفخار .

وحفظ رضى الله عنه القرآن حفظاً جيداً و عمره سبع سنين ، ثم اشتغل بتلقى العلوم فترأس فيها . ودرس وأفتى وهو صغير السن .

وكان رضى الله عنه من صغره شديد النمسك بالسنة المظهرة ، متأدباً بأدابها ، شديد الحياء غير ناظر إلى ما اعتادته الناس من ارتكاب الرخص ، وكان رضى الله عنه مدرساً للعلوم كلها ، إذا سئل عن شيء أجاب عنه بغاية البيان كأنما ينظر في لوح أمامه .

وتوفى أبوه وأمه في يوم واحد بالطاعون ، سنة ألف ومائة وست وستين ، رحمهما الله رحمة واسعة ، وأسكنهما أعلا الجنان : وبقي الشيخ بعد وفاتهما على حاله من الاشتغال بالعلم الشريف إلى أن بلغ من العمر إحدى وعشرين سنة ، فناقت نفسه لابن طين السادة الصوفية فبحث على أهل الله واجتمع مع جل أقطاب زمنه وفي سنة ألف ومائة وست وثمانين توجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وصار يبحث في طريقه عن أهل الله كما هي عادته فتلقى بمصر مع سيدى محمرد الكردى . فحين وقع نظر سيدى محمرد عليه قال : أنت محبوب الله في الدنيا والآخرة . وقال له ما طلبك ؟ فقال مطلبى القطبانية العظمى . فأجاب به سيدى محمرد بقوله : لك أكثر منها .

ولما وصل مكة وكان بها وقتئذ سيدى أحمد بن عبد الله الهندى . انتفع به مكانة . وتلقى بالمدينة المنورة مع القطب : سيدى محمد بن عبد الكريم اللسان وأخذ عنه أموراً . وبالجملة فكل من رآه من العارفين والأقطاب يحبه محبة فائقة ويبشره بما يتوكل عليه أمره ، ورجع بعد حجه إلى بلاد المغرب ولم يقض الله له بفتح على يد شيخ من المشايخ الذين اتقى بهم لما سبق في علمه تعالى أن فتحه ووصوله لا يكون إلا على يد سيد الوجود ﷺ

وفي سنة ألف ومائة وستة وتسعين توجه رضى الله عنه من تلسان إلى قصرى أى سمعون والشلاله بالصحراء الشرقية فمضى الله له بالفتح فهما فرأى رسول الله ﷺ يقظة لأنما وعين له الورد حينئذ : مائة من الاستغفار ومائة من الصلاة عليه ﷺ وأمره بتلقينه لكل من طلبه من المسلمين والمسلمات وقال له لامة مخلوق عليك من مشايخ الطريق فأنا واسطتك ومعدك على التحقيق فأتارك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق .

وفي سنة ألف ومائتين كل ﷺ له الورد بمائة من الهيئلة ولما أمره الرسول ﷺ بالنزول لإفادة الخلق قال رضى الله عنه له ﷺ . إن كنت باباً لنجاة كل عاص تعلق بي فنعيم وإلا فأى فضل لي فأجابه ﷺ بقوله الشريف : أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك . فحينئذ تنزل رضى

الله عنه لافادة الخلق بعد أن كان قارا من ملاقاتهم وصار يلقن الناس حسبا أمره الرسول ﷺ فانتشرت طريقته رضى الله عنه وملاّت الأقطار والبلدان .

ثم سافر رضى الله عنه بعد ذلك إلى مدينة فاس ، وقطن بها حتى أتى ربه في صبح يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة ألف ومائتين وثلاثين من الهجرة بعد أن صلى الصبح ثم اضطجع على جنبه الأيمن ، وطلب ماء فشرب منه ، ثم عاد إلى اضطجاعه ، فصعدت روحه الكريمة إلى محلها الأقدس ، ودفن بفاس رضى الله عنه وأرضاه وعنا به ، وعمره ثمانون سنة .

وقد أرخ سيدى التجانى ابن بابا فى (سنية البريد) وفاة الشيخ بقوله . مات الامام العارف الربانى ومدة عمره ، د حوى بها كهلا ، وترك رضى الله عنه من الأولاد ، الامامين الجليلين ، السيدين الكريمين ، سيدى محمد الكبير ، وسيدى محمدا الحبيب ، خلفاه فى الدلالة على الله وإرشاد الخلق لما يوصلهم إلى مولانا جل ثناؤه ،

ومن الكرامات التى خصوا بها ان جدهم ﷺ ضمن لهم المعرفة بالله تعالى وضمن لهم خيرا كثيرا ، وذلك بأخبار الشيخ رضى الله عنه عن النبى ﷺ .

وانتقل هذان الامامان إلى الدار الآخرة ، وقام بعدهما بأعباء الخلافة الطريق الخير الكبير : والقطب الشهير ، سيدى السيد أحمد عمار بن السيد محمد الحبيب وبعد وفاته خلفه أخوه السيد محمد الشهير ، ثم باقى الخلفاء ، رضى الله عنهم أجمعين .